جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy Prize for Arabic Language

المملكة العربية السعودية
رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠
جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

المسار الثالث: -

أبحاث اللغة العربية ودراساتها العلمية

عنوان البحث

رؤية حول تمكين اللغة العربية ودورها في الحفاظ على الهوية.

عمل الباحث:

مصطفى السيد محمد

يتناول الباحث في هذا البحث: -

أولًا: دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية.

مع الإشارة إلى تجربتين عالميتين مرتبطين بإحياء اللغة (التجربة العبرية و التجربة الفرانكفونية).

ثانيًا : الهوية نتاج المعاني التي يشيدها الأفراد عبر اللغة.

- **أولًا- اللغة وسيلة لإنقاذ الهوية.**
- **ثانيًا - اللغة العربية والهوية.**
  - **أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية اليوم هو ما أطلق عليه مصطلح العولمة.**
- **ثالثًا - اللغة العربية هوية ومواطنة.**
  - **تعريف معنى كلمتي "هوية" و" مواطنة "**

ملامح وقوانين ولوائح تنظيمية لاستراتيجة التمكين للغة العربية باعتبارها رمزاً للهوية:

- **المحور الأول: العربية والتعليم.**
- **المحور الثاني: العربية والإعلام.**
- **المحور الثالث: العربية والتواصل.**
- **المحور الرابع: الحرف العربي.**

ثالثًا - رؤية ومقترحات حول تمكين اللغة العربية.

أولاً: أهمية تمكين اللغة العربية.

ثانياً: أهم ما تواجهه العربية من مشكلات ومخاطر.

ثالثاً: أبرز المقترحات لتمكين اللغة العربية.

رابعًا - اللغة العربية بين الكبوة والنهوض.

خامسًا - التخطيط اللغوي (اللغة العربية).

سادسًا – الخاتمة.

أولًا: دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية: -

اللغة العربيّة أو لغة الضاد هي واحدة من أكثر اللغات انتشاراً ضمن مجموعة اللغات الساميّة، في دول الوطن العربي إضافةً للعديد من المناطق الأخرى مثل تركيّا، والأحواز، ومالي وتشاد، والسنغال، و إثيوبيا، وأريتيريا، و إيران، وجنوبي السودان.

اللغة العربيّة تعتبر لغةً مقدسة على اعتبار أنها لغة القرآن، حيث لا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الدين الإسلامي إلا بإتقان اللغة العربيّة، كما أنها لغة شعائريّة لدى عددٍ من الكنائس المسيحيّة على امتداد الوطن العربي، وقد تمّت كتابة العديد من الأعمال الفكريّة والدينيّة اليهوديّة بها وتحديداً في العصور الوسطى. كان لانتشار الدين الإسلامي تأثيراً مباشراً وغير مباشر في رفع شأن ومكانة اللغة العربيّة، حيث أصبحت لغة العلم والأدب والسياسة لأزمنةٍ طويلة في الديار التي حكمها المسلمون، بالإضافة لهذا فقد كان للغة العربيّة تأثيرٌ كبير على عددٍ من اللغات الأخرى على امتداد العالم الإسلامي كالفارسيّة، والتركيّة، والكرديّة، والأمازيغيّة، والماليزيّة، والأردية، والألبانيّة، والإندونيسيّة، وبعض من لغات جنوب إفريقيا كالسواحليّة والهاوسا والأمهريّة والصوماليّة، إضافةً لبعضٍ من اللغات الأوروبيّة وخاصةً البرتغاليّة، والإسبانيّة، والصقليّة، والمالطيّة، ويتمّ تدريسها بشكلٍ رسمي أو اختياري في عددٍ من الدول الإفريقيّة والإسلاميّة المحاذية للبلاد العربيّة. مكانة اللغة العربيّة وميزاتها تعتبر اللغة العربيّة هي اللغة الرسميّة في كافة أقطار الوطن العربي إضافةً لعددٍ من الدول الأخرى كأريتيريا، وتشاد، إضافةً لهذا فهي إحدى اللغات الستة الرسميّة في منظمة الأمم المتحدة، ويتمّ الاحتفال باليوم العالمي للغةِ العربيّة في الثامن عشر من ديسمبر من كل عام. تعتبر اللغة العربيّة من أغزر اللغات من حيث المادة اللغويّة، ففي معجم ابن منظور (لسان العرب) الذي تمّ تأليفه في القرن الثالث عشر للميلاد ما يزيد عن ثمانين ألف مادة. عدد حروف اللغة العربيّة ثمانية وعشرون حرفاً مكتوباً، ويرى عددٌ من اللغويين بأنه يجب إضافة (حرف الهمزة) إلى قائمة حروف اللغة ليصبح عددها تسعة وعشرين حرفاً، وتكتب اللغة العربيّة من الجهة اليمنى إلى اليسرى كاللغتين العبريّة والفارسيّة، على عكس العديد من اللغات حول العالم.

تلعب اللغات الرا اقِيَة لدى أبنائِها المُنتَسِبين إليها دورًا يَتجاوَز بكثيرٍ مجرَّد مهمَّة التوصِيل، والفهْم والإفهام، وقضاء الحاجات اليوميَّة، مع التسليم بأهميَّة هذه الأشياء في حياة البشر.

فالحياة يُمكِن لها أن تتحقَّق ويتمَّ التواصُل بين أطرافها من خلال الوسائل غير اللغوية؛ مثل: الإرشادات والرُّموز البسيطة، وصَيْحات الإعلان عن الحاجة أو القَناعة أو السخط والرضا، وهو ما نلاحظه على نِطاق واسِع، في عالم الطيور والحيوان من حولنا، وفي مراحل الطُّفولة المبكِّرة من أعمارنا، وعند ذوي الحواسّ المُعَطَّلة الذين لا يُكَلِّمون الناس إلا رمزًا، ومع ذلك تَسِير حياتهم ويُعَبِّرون عن رغباتهم دون أن يَندَرِجوا في مَراحِل التعبير المُتَفاوِتة، وُضوحًا أو طلاقة، أو تصريحًا أو تلميحًا، ودون أن يَتفاوَت رصيدُهم الفكري التعبيري ثَرَاءً، ولا شكل المعرفة الموروثة عنهم ضَحالةً أو عمقًا.

لكن "اللغة" في شكلِها الذي يَتكوَّن من بِنيَة كلامية مُنتَقاة، تلقى العناية على يد أبنائها جِيلاً بعد جِيل في تشكيل أصول الصحَّة والجمال بها، وتستغلُّ بِنيَاتها الصحيحة الجميلة تلك أدوات لحمل الفكر الراقي والمشاعر السامية من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة، ومن جيل إلى جيل، وتَزداد اتِّساعًا على مستوى المكان، وثراءً على مستوى الزمان، هذه اللغة تَتجاوَز مهامُّها المَنُوطَة بها مرحلة مجرَّد قَضاء الحاجات، والتعبير عن الرغبات - إلى مرحلة بِناء الأفراد والجماعات، وتشييد المعارِف والحضارات.

واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مُقدِّمة اللغات التي نجحَتْ في القيام بدورها الحضاري الرَّفِيع، وارتَقَتْ بأمَّة من مجتمع الصحراء المتوارِي لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتوالِيَة، ويَكفِي في هذا المقام أن نتذكَّر أنها شَرُفَتْ بحمل آخِر رِسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبِين.

لكنَّ اللغة في حاضِرها اليوم في حاجةٍ إلى أن تَتذَكَّر، وأن تستجمع قُواها لمواجهة متطلَّبات الحاضر والمستقبل في المجال المعرفي والحضاري، وأن تنتهي بفضْل وعي وهِمَّة أبنائها للقيام بدورها الحقيقي في المحافظة على الهُويَّة، واستِعادة بعض مَلامِح الوجه المهدَّدة بالضَّيَاع.

ولنتذكَّر أنَّنا في عصر تَلعَب فيه حالة لغات الشعوب - قوةً أو ضعفًا - دورًا مهمًّا في المحافظة على كِيان الأمَّة، أو التفريط فيه، وتركه عُرضَةً لتقلُّبات الأهواء والأحداث من حوله، ولنتذكَّر - أيضًا - أنَّنا في عصر تَحرِص فيه اللغات الكبرى المُسَيطِرة على التِهام اللغات المُنافِسة لها، أو إضعافها وتفتيتها، وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى وسائل علميَّة وتعليميَّة وإعلاميَّة، تَمَّ إعدادُها ودراستها بدِقَّة شديدة، وتَوازَنَتْ فيها المُغريات والعُقُوبات، وتَمَّ دسُّ السمِّ بإحكام في معظم الأحايين، في آنية العسل؛ لكي يَنجَذِب

إلى الهدف المرسوم - بوعي أو بلا وعي - أبناءُ اللغة المستهدَفة أنفسُهم، ويكونوا أكبر عَوْنٍ على تحقيق الغاية المُرادَة.

والقُوَى الكبرى التي تسعَى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف تَعرِف أنها لا تُحارِب فقط كلماتٍ وقواعد وتراكيب، وتراثًا شعريًّا أو نثريًّا، ولكنها تُحارِب ما يَرمُز إليه ذلك كله، وتسعى إلى السَّيْطَرة على مُقَدَّرات أبناء هذه اللغة وثرواتهم، واستقلال ذواتهم، وصَلابة قراراتهم؛ لكي يكونوا لقمة سائغة في خدمة عجلات الإنتاج ومَطامِع التوسُّع، وتحقق الأمن لدى أصحاب اللغات والأهداف الأخرى.

وذلك هدف أصبح مُعلَنًا على المَلأ لا يخفى ولا يَستَتِر، وهو واضِح أمام كلِّ مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

لقد تعرَّضتْ كثيرٌ من لغات إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للاجتِياح أمام قوَّة اللغات الأوروبية الغازية في عصْر التوسُّع الاستعماري بعد الثورة الصناعيَّة، مُمَثَّلة في اللغات الإنجليزية والفرنسية على نحو خاصٍّ، ومِن ورائها الإسبانية والبرتغالية والألمانية، وأمام هذا الاجتِياح سقطتْ لغات كثيرةٌ، قدَّرَتْها منظمة اليونسكو بأكثر من ثلاثمائة لغة، وضَعُفَتْ أخرى وتصدَّعت أركانها، وهم يَتَوقَّعون لها مَزِيدًا من الضعف الذي قد يؤدِّي إلى السقوط، خاصَّة إذا ساعَدَهم أبناء هذه اللغات أنفسهم على تحقيق الهدف، وهم يضَعُون اللغة العربية في مصافِّ هذه الطائفة الأخيرة، ويُقَدِّرون لها مدًى زمنيًّا يَتَوقَّعون أن تتحقَّق خلاله أهدافهم، حماها الله وحفِظَها، وفتَح عيون أبنائها على الخطر المُحِيط بهم.

لكن العربية - والحمد لله - صمدت وقاومتْ، وهي تستطيع أن تبذل المَزِيد من الصمود في الحاضر، والتأهُّب للمستقبل، واستعادة أمجاد الماضي، إذا قام أبناؤها - كلٌّ في مجال قدراته واهتماماته وواجباته - بما ينبَغِي عليه القيام به.

لقد ساعدت اللغة العربية - منذ نزل بها القرآن على نحو خاصٍّ - هذه الأمَّةَ على تشكِيل هُويَّتها وعلى التفتُّح على ثقافات العالم السابقة عليها والمُعاصِرة لها، وقد كان شعارها في التفتُّح ذلك الأثر القائل: "ليست العربية من أحدكم بأبيه ولا بأمِّه وإنما العربية لسان فمَن تكلم العربية فهو عربي" قال صاحب "كنز العمَّال": "رواه ابن عساكر عن أبي سلمة بن عبدالرحمن مرسلاً" ولقد فتح هذا الشعار الباب أمام كلِّ الأجناس والأعراق، لتحمل شرف الانتِماء إلى العربية من خِلال تعلُّم اللسان العربي، فتسابَق أبناء

الحضارات والأعراق الأخرى ممَّن عاشوا في كنف الإمبراطورية الإسلامية إلى إجادَة العربية، والتسابُق في الإبداع ووضْع المؤلَّفات بها وشارَكُوا في وضْع أسس قواعد مختلف العلوم العربية والإسلامية بها، وأصبحت أسماؤهم رموزًا بارِزة في بعض فروع المعرفة، كما كان اسم (سيبويه) في النحو، و(الجرجاني) في البلاغة، و(البخاري) في الحديث، و(الزمخشري) في التفسير، وهكذا اتَّسع مفهوم (العربية) وثقافتها لكي تتجاوَز الجنس العربي إلى ثقافة الإمبراطورية الإسلامية التي لم تقتَصِر فقط على علوم اللغة والدين - و إنما امتدَّتْ من خلال اللغة إلى الثقافة العلميَّة الإنسانية في الطب والجراحة، والرياضيات والجبر والفلك والصيدلة، وظلَّت ترجمات الكتب العربية لأعلام مثل: الزهراوي، وجابر بن حيَّان، و ابن الهيثم، و ابن النفيس وغيرهم تُشارِك في تمثيل كتب المعرفة العلميَّة في الجامعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر، انطِلاقًا من اتِّساع المفهوم، وثراء المعرفة، و إثراء اللغة العربية، واستخدامها في المجالات الحيَّة للعلوم والحياة.

وقد استطاعت اللغة العربية في فتْرة انطِلاقِها وتوسُّعها أن تُمَثِّل نموذج اللغة التي يحرِص المثقَّفون من غير أبنائها، على أن يتحلَّوا بمعرفتها، بل استعارَتْ حروفَها كثيرٌ من اللغات الأخرى - وخاصَّة اللغات الإسلامية - لكي تكتب بها كلماتها، ومن بينها اللغة الفارسية في إيران و أفغانستان، واللغة الأوردية في الهند وباكستان، اللتان كانتا - وما تزالان - تُكتَبان بالحروف العربيَّة، لكن لغات إسلاميَّة أخرى كانت تكتب بالحرف العربي وتخلَّت عن ذلك الحرف؛ نتيجةً للتخطيط المُحكَم لمُحارَبة العربية في القرن العشرين، وفي مقدِّمة هذه اللغات اللغة التركية التي غيَّرت حروفها إلى اللاتينية بعد سقوط الخلافة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتبعَتْها في ذلك اللغات المنتَشِرة في سهول آسيا الإسلاميَّة في منطقة تركستان، والتي تَقاسَم النفوذ عليها الصين والاتِّحاد السوفيتي السابق بعد الحرب العالمية، وحاولوا - بتَخطِيط مُحكَم وبثورة ثقافية على مَدَى نحو ثلاثين عامًا - إزالة الحرف العربي وتحريم الكتابة به، كما حدث الشيء نفسُه في اللغات الإفريقيَّة التي كانت تُكتَب بالحروف العربية، وعلى رأسها اللغة السواحلية في شرق إفريقيا، والتي ظلَّت تُكتَب بحروف عربية حتى سنة ١٩٦٤، حينما صدر قرار بإزالة الحروف العربية ووضْع اللاتينية مكانها في هذه اللغة، وحدَث ذلك في اللغات الإسلامية في غرب إفريقيا.

ولقد حاوَلت هذه الحرب أن تمتدَّ إلى داخِل اللغة العربية ذاتها؛ فظهرتْ صَيْحات منذ أوائل القرن العشرين، تدعونا إلى أن نكتب - نحن أيضًا - لغتنا العربية بحروف لاتينية؛ بدعوى تسهيل تداوُلها في

العالم، وما زلنا نرى زحْف الحروف اللاتينية على واجِهات المحلاَّت في كثيرٍ من مُدُن العالم العربي؛ ممَّا يُشَكِّل ظاهرة سلبيَّة لا تَلِيق بأمَّة تحرِص على أن تكون لها شخصيتها وهُويَّتها المستقلَّة.

إنَّنا ينبغي في الوقت نفسِه أن نُشِيد بالتجارِب العالمية المُعاصِرة، التي أدركت أهميَّة "اللغة" في المحافظة على شخصيَّة الأمَّة، أو اتَّخذت خطوات إيجابيَّة في سبيل المحافَظة على قوَّة لغتها، أو إحيائها وتوظيفها بقوَّة في الحياة العلمية والعملية؛ ممَّا ترتَّب عليه إحياء شخصيَّة الأمَّة والمحافظة على قوَّتها،

ونوَدُّ بعد هذا أن نُشِير في إيجازٍ إلى تجربتَيْن عالميتَيْن مرتبطتَيْن بإحياء اللغة المرتَبِطة بإحياء الهويَّة أو المحافظة على القوَّة؛ وهما (التجربة العِبريَّة والتجربة الفرانكفونيَّة).

- أمَّا التجربة العِبريَّة الحديثة:

فقد بدأَتْ في أواسط القرن التاسع عشر، حين كان اليهود مُوَزَّعين على أكثر من مائة دولة في العالم، وتتحدَّث كلُّ جماعةٍ منهم لغة البلد الذي تَعِيش فيه، ولا تُوجَد اللغة العِبريَّة إلا في بيوت العِبادة، وفي بعض عِبارات التخاطُب والمجامَلة، وكانت تُعتَبَر لغة دينية ميتة، وعندما بدأَتْ فكرة إقامة وطنٍ لليهود رفَع أحد مُفَكِّريهم - وهو "إليعازر بن يهوذا" - شِعارًا مهمًّا وهو: "لا حياة لأمَّة بدون لغة"، وقرَّر أن يسعى لكي يجعل من العِبريَّة لغة حيَّة على مستوى الكتابة وتدوين المعرفة والتخاطُب في الحياة اليوميَّة، وبدا هذا الهدف عند اليهود أنفسهم صعبًا إن لم يكن مُستَحِيلاً، ولكنَّه تمسَّك بفكرته رغم سخرِيَة أصدقائه منه، وقرَّر الهجرة إلى فلسطين سنة ١٨٨١ مع زوجته وأسرته، و أنشأ أوَّل بيت يهودي تُفرَض فيه اللغة العِبريَّة لغةً للتخاطُب والحديث في كلِّ شؤون الحياة، وساعَدَه على ذلك أفراد أسرته رغم سخرِيَة كلِّ الناس منه، ولكنَّه ظلَّ متمسِّكًا برأيه عامِلاً على إنجاحه أربعين سنة متَّصلة، أسَّس رابطة للمتكلِّمين بالعِبريَّة في فلسطين، وصارَتْ داره منتدى يَتِمُّ الحديث فيه بالعِبريَّة، وأصدر صحيفة بالعِبريَّة، وجعَل جزءًا منها مُخَصَّصًا للأطفال، وحرص على أن يُسَمِّي أبطال قِصَصِهم بأسماء عِبريَّة، وعكَف على تأليف قاموس كبير للغة العِبريَّة، بالاستِعانة بالتُّراث اليهودي واللغات السامية، و ابتكار مصطلحات جديدة في كلِّ مجالات المعرفة، وقد استَطاع في حياته أن ينجز منه تسعة أجزاء، و أكمَلَه تلاميذه إلى ستة عشر مجلدًا، و أثمرت دعوته؛ فانتشرت المدارس العِبريَّة في فلسطين، وامتدَّ التعلُّم والتأليف بالعِبريَّة إلى كلِّ المناهج، ثم امتَدَّ إلى الجامعات التي تُدَرِّس كل موادِّها بما في ذلك الطب والهندسة والعلوم بمختلف

ألوانها باللغة العِبريَّة، وتُعقَد فيها المؤتمرات على أعلى مستوى بهذه اللغة، مع الاستِفادة من تعلُّم اللغات الأخرى؛ لأنهم يُدرِكون جيّدًا الفرقَ بين تعلُّم اللغات الأجنبية - وهو أمر مطلوب وضروري لكلِّ حضارة وتقدُّم - وبين التعلُّم باللغات الأجنبية - وهو أمر يقَضِي على الشخصيَّة واللغة القوميَّة على المَدَى البعيد - ولا يُساعِد - كما يقول الباحثون - على تَوطِين المعرفة لَدَى الأمَّة.

وامتدَّت تجرِبة اللغة العِبريَّة إلى كلِّ مَناحِي الحياة؛ الاقتصادية والاجتماعية، والفنية والسياسية، فأصبحت المؤتمرات تُعقَد بها، وتكتب لافِتات المَتاجِر والأماكن العامَّة والمنتديات بها، والمسؤولون يُلقُون كلماتهم في أيِّ دولة أجنبيَّة بها، وبهذا الجهد الخارِق استَطاعَتْ أمَّة أن تُحيي لغتها من العَدَم، وأن تَحيَا هي بهذه اللغة، ويتشكَّل لها كِيان وهُويَّة.

- أمَّا تجرِبة إنعاش اللغة الفرنسية في العصر الحديث:

فقد تَمَّ التخطيط لها بعد التغييرات السياسية التي حدثت في العالم في القرن العشرين بعد الحربَيْن العالميتَيْن، والتي تراجعَتْ بمُقتَضاها مكانةُ الإمبراطورية الفرنسية لصالح القوَّة الأمريكية المُتعاظِمة، وأصبح نفوذ اللغة الفرنسية الذي كان سائدًا في كثيرٍ من أرجاء العالم مُهَدَّدًا بالانحِسار، فتشكَّلت في النِّصف الثاني من القرن العشرين رابطة الفرانكفونية من الدُّوَل التي تتحدث الفرنسية، وشكلت مؤسسات علمية ترعى اللغة الفرنسية في العالم، وتُتابِع المتكَلِّمين بها، وتبحث عمَّا يعتَرِضهم من مشاكل في سبيل المُحافَظة على لغتهم الأصلية أو المُكتَسَبة، وتعقد المؤتمرات التعليمية والثقافية والعلمية باللغة الفرنسية في مختلف البلدان، وترصد استخدام وسائل الإعلام لها، لتُقدِّم التوصيات - وأحيانًا الأوامر - بعدم شيوع الأخطاء أو المستويات الهابِطة في اللغة.

وتضمُّ هذه المؤسسة الفرانكفونية في عضويَّتها كثيرًا من الرؤساء وكِبَار المسؤولين والوُزَراء في الدُّوَل الناطِقة بالفرنسية، ومن خِلالها يَتِمُّ تَنسِيق جهودهم جميعًا لحماية اللغة الفرنسية، والعمل على المَزِيد من الانتِشار والصحَّة والحيويَّة لها.

إنَّ لُغتنا العرَبيَّة التي تملك مِنْ مُقَوِّمات الصحَّة والحياة والجمال والقابليَّة لاستِيعاب مختلف المعارِف والعلوم والتعبير عنها - بحاجةٍ إلى أن نَبذُل جميعًا لها من الحماية والرِّعاية ما تستحقُّه، انطِلاقًا من جريانها على ألسِنَتنا و أقلامنا في مستوياتها المختلفة، بحسب المقام المُناسِب، فلا نستَخدِم لغة مُتقَعِّرة في

موقف حديث؛ لئلاَّ ينفر الناس منها، ولا نتهاوَن في الوقت ذاته بالخطأ وعدم الدقَّة في التعبير، ونَحرِص على الدعوة إلى شُيُوعها في معاملاتنا الاقتصادية، والالتِفات إلى الظاهرة الخطيرة التي تلوِّث وجه المدن العربية بأسماء أجنبية، التي تختَلِط فيها الحروف واللغات اختِلاطًا يُسيء إلى شخصيَّتنا، والعمل على تنْميتها في وسائل إعلامنا بطريقة مَدرُوسة ومنهجيَّة هادفة، بدلاً من الفوضى التي تَسُود في كثيرٍ ممَّا نقرؤه وما نسمعه وما نُشاهِده، وعلى بذْل خطوات جادَّة لتوسيع مجال اللغة العربية في تدريس العلوم في المدارس والجامِعات، وطرْح التساؤل الذي لا بُدَّ منه: لماذا تدرس كلُّ جامعات الدنيا العلوم المتقدِّمة بلُغاتها القوميَّة، إلاَّ نحن في جامعاتنا؟ وهل اللغة البولندية - مثلاً - أكثر قدرة على استِيعاب مصطلحات الطب والهندسة من اللغة العربية؟ ولماذا لا نستَفِيد من التجارِب الرائعة للجامعات السورية في محافظتها على اللغة العربية في تدريس الطب، وتخريجها شريحةً من أفضل الأطبَّاء العرب وأكثرهم نجاحًا حتى في المجتمعات الغربية التي يعملون بها؟ وهل يرتَبِط التقدُّم العلمي بالدراسة باللغة الأجنبية؟ أو بدراسة اللغة الأجنبية والاستفادة منها؟ والتعليم باللغة القومية تَوطِين للعلم وتأكيد للهُويَّة.

إن كثيرًا من الأسئلة التي نطرحها على أنفسنا اليوم ليس من الضروري أن نجد الحلَّ الحاسِم لها غدًا، ولكنَّنا مع ذلك نبغي أن نُصِرَّ على طرْحها ومُناقَشتها مناقشة علمية؛ حتى نصل إلى الإجابة المُناسِبة التي قد تستَرِدُّ اللغة العربية معها حيويَّتها، وتستردُّ الأمَّة مزيدًا من مَلامِح شخصيَّتها وهُويَّتها، وتستردُّ المعرفة مزيدًا من التَّوطِين والانتِشار الحقيقي بين مختلف طبقات الأمَّة.

ولغة الأمة هي مصداق هويتها ونسغ حياتها ووعاء ثقافتها ومجتلى حضارتها ومرآة نهضتها وحاضنة تراثها وهي ذاكرة الأمة وتاريخها، ووجود الأمة مرتبط بوجود لغتها، والأمم التي انقرضت لغاتها زالت من الوجود، ولا بقاء لأمة يتخلى أهلها عن لغتها.

واللغة كما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية عام ٢٠٠٣م، أبرز سمات المجتمع الإنساني، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحَبَها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويُبطن في جوفه صراعًا لغويًّا، فاللغة هي المنظار الذي من خلاله يدرك الإنسان عالمه، وهي العامل الحاسم الذي يشكل هوية هذا الإنسان ويضفي على المجتمع طابعه الخاص.

ثانيًا: الهوية نتاج المعاني التي يشيدها الأفراد عبر اللغة: -

الطابع الخاص للمجتمع وليد تفاعل ما يسري في داخله من خطابات لغوية ترتهن بالمتغيرات التاريخية، وتعكس كل ما تزخر به المنظومة المجتمعية من أوجه الوفاق والشقاق.

تتميز اللغة العربية عن كل لغات البشر بأنها لغة العبادة، ولهذا انتشرت مع الإسلام في كل شبر وصلت إليه تلك الدعوة الخالدة، واستطاعت في سنوات معدودات أن تبتلع اللغات المحلية، التي كانت تتكلم بها شعوب كثيرة وكأنها عصا النبي موسى عليه السلام، التي ألقاها أمام السحرة فإذا هي تلقف ما يأفكون. وارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ساعد كثيرًا على سرعة وازدياد رقعة انتشارها، كما اوجد التسامح في الإسلام رابطة قوية بين اللغة والهوية الثقافية. ويتمثل ذلك المبدأ الأثر النبوي الشريف الذي رواه المؤرخ والمحدث الشهير ابن عساكر:" ليست العربية من أحدكم بأبيه ولا بأمه، و إنما العربية لسان، فمن تكلم العربية فهو عربي".

وقد ألغى الإسلام العصبيات القبلية، وقضى على التفرقة العنصرية حين ساوى بين العرب والعجم، وحين أعلن النبي-صلى الله عليه وسلم- في سمع الزمان من خلال خطابه الشهير في حجة الوداع أنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وهكذا استوى تحت مظلة الإسلام سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، والعباس ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي.

و أثبتت اللغة العربية من ناحية أخرى أنها قادرة على استيعاب كل ثقافات الأرض حتى غدت في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد لغة العلم والحضارة، وأصبح العلم يتكلم بالعربية لمدة تزيد على ثمانية قرون من عمر الزمان، كانت الأمة قوية فقويت معها لغتها. و أقبل علماء أوربا على تعلمها وترجمة تراثها العلمي إلى اللاتينية فيما يُعرف بعصر الاستعراب الأوروبي.

وتتوزع هذه الدراسة والبحث على عدة محاور: -

أولًا- اللغة وسيلة لإنقاذ الهوية:

من المفيد هما أن نشير إلى ثلاث تجارب في التاريخ الحديث والمعاصر تم الاعتماد فيهم على اللغة لإنقاذ الهوية وحمايتها من التداعي. وهذه التجارب كانت مع اللغة العبرية واليابانية والكورية.

كانت اللغة العبرية من اللغات الميتة، فقد نجح المتحدثون بها في إحيائها من الموات ولمها من الشتات. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر قامت مجموعة من الشباب اليهود الأوربيين بحركة لإحياء اللغة العبرية. وكان من أشهرهم "أليعازر بن يهودا" الذي دعا إلى إحياء اللغة العبرية من خلال جعلها لغة التخاطب في الحياة اليومية، ونادى بشعار "لا حياة لأمة بدون لغة". وفي سنة ١٨٨١م، هاجر إلى فلسطين مع زوجته وأسرته، وفرض اللغة العبرية لغة التخاطب والحديث بين أفراد أسرته، رغم أنها كانت لغة ميتة مثل اللغة اللاتينية، لا تستخدم إلا في الطقوس الدينية. ورغم سخرية الناس منه إلا أنه أسس رابطة للمتكلمين بالعبرية في فلسطين، وأصدر مجموعة من الصحف باللغة العبرية في القدس، وقام بإعداد معجم للغة العبرية أنجز منه تسع مجلدات في حياته، وأكمله تلاميذه من بعده إلى ستة عشر مجلدًا.

واستجابة لجهد "أليعازر بن يهودا" تم إنشاء مدارس تدرس كل موادها باللغة العبرية بما فيها التاريخ والجغرافيا والرياضيات وغيرها، وأنشأوا مراكز عديدة لتعليم لغتهم للمهاجرين الجدد، وتلقينهم أنها اللغة المقدسة "ليشون قادش". وحرصوا على ذكر المواقع والأماكن باللغة العبرية، فالضفة الغربية هي السامراء، وغزة يهودا، والخليل حبرون، وبئر سبع هي بئر شفيع .. إلخ.

وانطلاقًا من دعوة "أليعازر بن يهودا" أصبحت العبرية الآن شديدة الحيوية كما أصبحت تشكل الهوية، وتدرس بها كل العلوم الحديثة في الكيمياء والفيزياء والصيدلية والطب والهندسة والعلوم الإنسانية، وتعقد بها المؤتمرات. وهكذا جسدت هذه المحاولة الناجحة تماسك الهوية من خلال لغة يتم إحياؤها من العدم.

ومما يدلل على أهمية اللغة في توحيد أهلها، والنهوض بهم هذه الشعوب التي هزمت عسكريًّا، وتمسكت بلغتها؛ فاليابانيون مثلًا بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية خضعوا لشروط الأمريكيين في تغيير الدستور وحلّ الجيش ونزع السلاح وغير ذلك، ولكنهم رفضوا التخلي عن لغتهم القومية التي تمسكوا بها، واستعملوها في معاهدهم وجامعاتهم ودخلوا بها معتركات الحياة العلمية والصناعية المتطورة، وكذلك كان الكوريون الذين وقعوا تحت احتلال اليابانيين الذين فرضوا عليهم لغتهم، ومنعوا الكوريين من التعليم بلغة بلادهم، ولكنهم بعد تخلصهم من الاحتلال-بعد هزيمة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية- وجدناهم اعتمدوا اللغة الكورية الفصيحة أساسًا للتنمية البشرية، وجعلوا في بلادهم لغة التعليم في

مختلف مراحله، وتخصصاته المتنوعة، وكتبوا جميع اللافتات وأسماء المحلات بها فقط، وفي حال الاضطرار إلى كتابة أسماء أجنبية كما في لافتات السفارات والفنادق الكبرى جعلوها بالحروف الأجنبية الصغيرة تحت الحروف الكورية الكبيرة.

ثانيًا- اللغة العربية والهوية:

لا شك أن اللغة هي الفكر وهي الهوية وهي الماضي والحاضر والمستقبل. وتواجه اللغة العربية في الوقت الحاضر عدة آفات منها استعمال اللغة العامية، سواء في وسائل الإعلام، أو في لغة الباحثين والمذيعين والمحاضرين، وهي آفة مستعصية لا يسهل القضاء عليها.

وقد غلبت لغة العامة حتى على لغة المدرسين والأساتذة في المدارس والجامعات، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل، فقد كان المعلمون في المدارس الابتدائية لا يلقون دروسهم إلا باللغة العربية السليمة. ونعاين انتشارها أيضًا في شتى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمنطوق بها وفي الإعلانات ولافتات المحال التجارية والمطاعم والمقاهي وغيرها، وما يبعث على الأسى استعمال العامية في مناقشة الماجستير والدكتوراه في كليات الدراسات العليا في الجامعات الرسمية التي أنشئت حديثًا في بعض الدول العربية مثل المملكة الأردنية الهاشمية.

وتلك هي الآفة العظمى التي ينبغي التصدي لها. من خلال التوعية الاجتماعية، من طريق الإذاعة والتلفزة و إقامة ندوات تثقيفية وإلقاء محاضرات تحض على استعمال اللغة الفصيحة، وتكليف طائفة من الباحثين الاكِفاء إذاعة أحاديث في الإذاعة والتلفزة لتوعية الجماهير، وإعلامهم أن اللغة الفصيحة هي التي تجمع الأقطار العربية في وحدة لغوية تيسر التفاهم بين أبنائها، وإعلامهم أن الوحدة السياسية لا يتأتى تحقيقها إلا من طريق التوحيد اللغوي، وأن الانتماء إلى الأمة العربية يقتضي الاعتزاز بها والحرص على استعمالها في كل المجالات، وتذكير الجماهير في الوطن العربي بما كان للغتنا من شأن كبير في العصور المختلفة ولدى جميع الأمم التي انضوت تحت راية الدولة العربية الإسلامية.

والآفة الثانية التي جثمت على مجتمعاتنا هي استعمال اللغة الأجنبية في التواصل بين الناس، وكأن اللغة العربية لم تعد صالحة للتفاهم بين أفراد المجتمع، وحرص المسؤولون العرب على استخدام هذه اللغات في المقابلات واللقاءات الرسمية، بل حرصوا على استخدامها في داخل الأسرة الواحدة. ومنذ عهد قريب

نهض فجأة الرئيس الفرنسي الأسبق "جاك شيراك" وغادر قاعة مؤتمر أوربي لرجال الأعمال، وكان سبب غضبه قيام أحد رجال الأعمال الفرنسيين بإلقاء كلمته أمام المؤتمر باللغة الانجليزية وليس بلغته الفرنسية. وهذا أبلغ دليل على خوف الفرنسيين على لغتهم الوطنية.

وبرغم أن اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية المعتمدة في اليونسكو وفي هيئة الأمم المتحدة، فإن ممثلي الدول العربية يلقون بياناتهم باللغة الإنجليزية، وأحيانا قليلة باللغة الفرنسية. وحتى في المنتديات والمؤتمرات التي تقام في عواصم الوطن العربي، ويشارك فيها الاجانب، يتحدث أبناء العربية باللغة الإنجليزية، فعلى سبيل المثال، عقد في أحد فنادق البحر الميت في المملكة الأردنية الهاشمية في شهر شباط/فبراير ٢٠٠٧م، مؤتمرًا يبحث استراتيجيات التعليم العالي العربية، وكانت اللغة الإنجليزية لغة المؤتمر المعتمدة مع أن عدد المشاركين الأجانب الذين لا يعرفون اللغة العربية في ذلك المؤتمر لا يتعدى العشرين من أصل أربعمائة مشارك كلهم من العرب، وكأن ذلك من دواعي الفخار، لا من إهدار الهوية والانسلاخ من الانتماء الذي يوحي به حديثنا باللغة القومية وهي المستودع الزاخر بالمعاني والأفكار والقيم. ومن هنا، هل يجوز القول: إن اللغة العربية كانت في مازق؟ إن مأزقها أبناؤها أنفسهم!

وهي (استعمال اللغات الأجنبية) آفة مردّها إلى مركّب النقص في نفوس مستعملي اللغة الأجنبية، والتوعية الاجتماعية من وسائل علاج هذه الآفة، بإقناع أفراد المجتمع بأن الأمة التي تتخلّى عن لغتها وتستعمل لغة أخرى هي غير جديرة بالبقاء.

ولم يقتصر استعمال اللغات الأجنبية، والإنجليزية خاصة، على أفراد المجتمع بل تجاوزهم فطغى على لافتات المحال التجارية والفنادق والمطاعم وغيرها، وعلى الإعلانات الموضوعة في الطرق. ومن يسر في شوارع عمّان أو القاهرة أو غيرهما من العواصم العربية فعينه تكاد لا تقع على لافتة واحدة باللغة العربية، فكأن سمعة المحل لا ترقى إلا باستعمال الأجنبية. واستأثرت الشركات والمؤسسات العالمية بمنافذ العمالة، وجعلت اتقان اللغات الأجنبية شرطًا للتعيين بها، وفرضت ذلك فرضًا على التعليم.

وفي أقطار الخليج العربي هيمنت اللغات الأسيوية الوافدة مع العمالة التي تستعين بها في مختلف الميادين والمجالات. ولا يقف التحدث بها عند حد هذه العمالة، بل انتشرت بين أبناء الخليج مما جعل اللغة العربية فيها لغة "هجين"، والخوف أن تصبح في المستقبل لغة الأقلية في أوطانها.

وفي مجال التعليم، تلجأ كثير من المدارس الخاصة للتدريس باللغة الأجنبية، منذ الصف الابتدائي. في حين لا توجد في" إسرائيل" مدرسة واحدة تدرس بغير اللغة العبرية إلا إذا كانت لأبناء الهيئة الدبلوماسية في السفارات الأجنبية. فالعبرية في حالتهم ليس مجرد تواصل، بل أداة بناء الأمة.

إذ يصعب على مواطنٍ ياباني، أو فرنسي، أو حتى" إسرائيلي" أن يفهم كيف يمكن أن يولد أطفال لوالدين فرنسيين أو يابانيين أو ألمانيين أو" إسرائيليين" ينمون وينشؤون في بلدهم، ولكنهم لا يتحدثون لغتهم الأم، لا في البيت ولا المدرسة، ولا يدرسون العلوم في بلدهم بلغتهم، فالتحدث بلغة الأم والتعلم بها أمر طبيعي وبديهي في نظر مواطن تلك البلاد، لذا يعد الابتعاد عن اللغة الأم تبعد عن المساهمة في المنجزات الثقافية والعلمية للحضارة في عصرنا.

ومن أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية اليوم هو ما أطلق عليه مصطلح العولمة وهي أحد أساليب الاستعمار الثقافي والاجتماعي والسياسي، وهنا لا ننكر أن للعولمة جوانبها الإيجابية، ومنها نشر المعرفة والتبادل المعرفي والثقافي بين الأمم، و إقامة التواصل المعرفي بينها، ولكن من سلبيات العولمة تفوق إيجابياتها.

ولهذا ابتكر أصحاب هذه الدعوة أسلوبًا للسيطرة على ثقافات الشعوب ولغاتها وهويتها وحضاراتها وأسلوبها ظاهره نشر المعرفة وباطنه السيطرة على الأمم ثقافيًّا ومعرفيًّا وسياسيًّا، فالعولمة من أخطر التحديات التي تواجه اللغة العربية، ولغتنا تتعرض اليوم لهجمات فتاكة من دعاة العولمة، وهم يزعمون أنها لم تعد صالحة في هذا العصر لأن تكون وعاء للتقدم العلمي والتقني، ومن الخير استبدال اللغات الأجنبية والإنجليزية باللغة العربية، بغية استيعاب المعطيات الحديثة، ودعاة العولمة يهيبون بالأمة العربية أن تجعل تراثها وراء ظهرها وأن تسير في ركب الأمم المتقدمة لتحظى بالتقدير والتقدم، ومن هنا الدعوة إلى إنشاء شرق أوسط جديد يغاير في مفاهيمه وثقافاته وتوجهاته السياسية ثقافة الأمة العربية.

ونشير هنا إلى بعض معالمه ومشاريعه التي تهدف إلى طمس الهوية العربية:

١- إعادة تعريف هُوية الدول العربية؛ نذكر على سبيل المثال العراق اليوم ينظر له بوصفه بلد مكونات، ويشهد محاولات لنفي هويته العربية، والامر ينطبق على السودان، الذي اضحى نهباً لمشاريع تقسيمية.

٢- المشروعات الرامية إلى استبعاد مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية، كمشروع الشرق الأوسط الجديد، ومشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية.. الخ.

٣- المشروعات العاملة على استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، واستبعادها من امتحانات الشهادة الثانوية على أنها لغة ثانية في فرنسا، واعتماد اللهجات العامية للأقاليم العربية" مثل إقليم المغرب العربي، و إقليم مصروالسودان، إقليم بلاد الشام والعراق، و إقليم الخليج العربي"

٤- المشروعات العاملة على تلقي مواد المعرفة باللغة الانجليزية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة في دول الخليج العربي، واللغة الفرنسية في دول المغرب العربي، والعاملة على تعزيز اللهجات الدارجة في القنوات الفضائية وعلى شبكة "الانترنت".

٥- المشروعات الهادفة إلى التعتيم على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويه التاريخ العربي وتزويره، والداعية إلى قطع العلاقة مع التراث" قتل الأب على حد تعبير دعاتها".

ثالثًا - اللغة العربية هوية ومواطنة:

لا يخفى على ذي لُب ما للغةِ العربية من أهميةٍ عظمى؛ في كونها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكونها جزءًا من ديننا، بل لا يمكنُ أن يقومَ الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأَ المسلم القرآنَ إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركنٌ من أركانِ الصلاة، التي هي ركن من أركانِ الإسلام. وعَرَفَ عظمة اللغة العربية مَنْ اطلع عليها وتعلمها وغاص في أسرارها من العرب في القديم والحديث، ولا عجب في أنْ يشهدوا بعظمتها لأنهم أهل اللغة، والاطلاع على أقوالهم يزيدنا علماً وثقةً بها، لكن الاطلاع على شهادات غير العرب في العربية له طَعْمٌ آخر، لأنّهم عرفوا قيمةَ لغتنا وهم ليسوا منّا، وهو ما يدفعنا إلى محاولة معرفة ما عرفوه منها، لنزداد اعتزازاً بها ونغرس الاعتزاز في نفوس أبنائنا وترى بعض العجم من غير المسلمين وهو يكيل المديح والإشادة بالعربية لما رآه فيها من مواطن العظمة. من أجل هذا الو اقع نحتاج جميعاً إلى ما يزيدنا قناعةً واعتزازاً بها، وممّا يقنعنا بها قراءة تلك الأقوال سواءً قالها عربيٌ أم غير عربي. للتأكيد بأن و اقع الأمة العربية المتأزم والمتخلف والمريض، انعكس على و اقع اللغة بإهمالها من قبل أبناؤها وليس جمودها، كما تؤكد هذه الدراسة على كون اللغة الدينية لأي أمة من الأمم هي عماد هويتها الدينية.

تعريف معنى كلمتي "هوية" و" مواطنة ":

هُوِيَّةُ الْإِنْسَانِ: حَقِيقَتُهُ الْمُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّةُ وأما الْمُوَاطَنَة: فهي صِفَةُ الْمُوَاطِنِ.

ومن الحقائق المقررة أن اللغة العربية هي وعاء الأمة الفكروالذخيرة، ومستودع القيم الثقافية وكذلك الاجتماعية. وتوهين لغتنا وإضعافها، ونبذها وإحلال أخرى مكانها، قد يؤدي إلى بلبلة في فكر أبنائها وقيمهم العريقة، وفي معاني الهوية والانتماء.

وإذا تخلى امرؤ عن لغته واصطنع لغة غيرها، فإن تفكيره وفكره يتحول شيئًا فشيئًا إلى مخزون تلك اللغة وذخائرها، ويرتبط تدريجيًّا بعادات أهلها وقيمهن ومع مرور الوقت يتحول انتماؤه إلى ثقافتهم، وقد يعجز- فيما بعد- عن التعبير عن شعوره وعواطفه بلغته التي تلقاها بفطرته وغريزته من أمه، ويستخدم تعابير اللغة التي جرفت ثقافته، وغيبت معالمه.

إن حماية اللغة العربية من هجمات العولمة هي واجب قومي وديني في آن واحد، فاللغة العربية هي السياج المتين الذي يحميها من آثار العولمة، ومناهضة العولمة تستدعي توعية الجماهير العربية وتعريفهم بأهدافها الخبيثة وجوانبها السلبية، ومن واجب الأمة العربية حماية لغتها وتراثها وبيان الجوانب المضيئة في حضارة أمتنا وتاريخنا.

وتعتبر اللغة جزء حيوي وأصيل من هوية الأمة ومرآة صادقة لموقعها على مدرجة الحضارة الإنسانية، ولن يزال المخلصون من أبنائها يدعون إلى نهضتها ويسعون إلى رقيها، ويرشدون غيرهم إلى سبل هذا النهوض ومفاتح ذلك الرقي.

كما اللغة العربية هي الجامع الاظهر بين شعوب الوطن العربي نحن جميعا انما ننتسب الى العروبة بسبب اللسان العربي، بمعنى من تحدث العربية وكانت هي لسانه الاول الأصلي والأساسي او كانت هي اللغة الام.

وتعد اللغة العربية أقدم اللغات الحية على وجه الأرض، وعلى اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة، ولا نجد شكاً في أن العربية التي نستخدمها اليوم أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذه اللغة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون}، ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة.

كما ان اللغة العربية ليست لغة فحسب ولكنها تعبر عن هوية امة بأكملها وثقافة وحضارة العرب عبر السنين، والحفاظ على اللغة العربية امر هام للغاية من اجل المحافظة على الهوية العربية.

ولقد أدارك القائمين على اللغة أن اللغة العربية في أزمة كبيرة تتسع يوما بعد يوم نتيجة لعدم وجود قرارات عربية موحدة نافذة تتصدى لحلها، حتى باتت هذه الأزمة اللغوية تهدد الأمن القومي العربي، والأمن الوطني لكل دولة من الدول العربية، من خلال تشظية المجتمعات العربية وتقسيمها بهدف ضرب الوحدة الوطنية والتضامن العربي، كما أن آثار هذه الأزمة تمتد إلى تهيئة الساحة لانتشار التطرف نتيجة لتفسيرات مغلوطة ورؤى أحادية تتنافى مع طبيعة اللغة العربية.

وإن مسؤولية تبني هذه الاستراتيجية وتنفيذها لا يقع فقط على الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بل أيضا على حكومات جميع الدول العربية وقياداتها السياسية.

ولذلك و انطلاقاً مما نصت عليه دساتير جميع الدول العربية، ومن قوانين التعليم العام والتعليم الجامعي في مختلف الدول العربية، ومن إعلان الرياض الصادر عن القمة العربية ٢٨، ٢٩ مارس ٢٠٠٧م، وإعلان دمشق الصادر عن القمة العربية ٢٩، ٣٠ مارس ٢٠٠٨ م، وإعلان سرت الصادر عن القمة العربية ٢٨ مارس ٢٠١٠م، بخصوص تعزيز حضور اللغة العربية في جميع الميادين، والاهتمام باللغة العربية وترسيخها بوصفها وعاء الفكر والثقافة العربيين، والحاضنة للتراث والهوية.

تم وضع هذه الاستراتيجية لتكون منطلقا للنهوض باللغة العربية، على أن يكون شعارها هو (التمكين للغة العربية رمز هويتنا)، وذلك أن مصطلح التمكين يشير إلى إجراءات تنفيذية، مبنية على أطر نظرية يتم تنزيلها على الواقع العملي.

ملامح استراتيجية التمكين للغة العربية باعتبارها رمزاً للهوية:

١. إنشاء وحدة مركزية أو لجنة دائمة للحفاظ على سلامة اللغة العربية في كل الدول العربية،
٢. على أن تتبع هذه الوحدة مجلس الوزراء مباشرة، وأن يكون لها أفرع في كل الوزارات والهيئات الكبرى.
٣. تكون مهمة هذه الوحدة الاستشراف والمتابعة لتنفيذ السياسات والقوانين المتعلقة باللغة العربية وحمايتها.

٤. تعطي الوحدة المعنية الصلاحيات القانونية والإدارية والإمكانيات المعينة على تنفيذ مهمتها، على أن تقوّم إنجازها سنويا.

وتتألف هذه الاستراتيجية - بعد ذلك - من أربعة محاور تتوزع بنودها ما بين سياسات لغوية عامة، وقوانين ولوائح تنظيمية، وتصور للحوافز:

المحور الأول: العربية والتعليم.

المحور الثاني: العربية والإعلام.

المحور الثالث: العربية والتواصل.

المحور الرابع: الحرف العربي.

وتتمثل رؤية الاستراتيجية التي تنبثق عنها البنود الإجرائية الآتية تحت المحاور الأربعة فيما يلي:

١- أهمية إتقان اللغة العربية حفاظا على وظيفتها من حيث هي وعاء للهوية ورابطة بين أبناء الأمة العربية. الحياتية.
٢- الوعي بالعلاقة بين التعلم باللغة القومية وتوطين العلم، وبمدى تأثير ذلك على النمو الاقتصادي، والاجتماعي، والصحي.
٣- تفعيل دور اللغة في تقوية الأواصر الثقافية والاجتماعية بين أبناء الوطن العربي.
٤- الإيمان بأن حضور اللغة واستعمالها على كافة الأصعدة هو المظهر الحقيقي للتمكين والمرأة الصادقة للنهضة.
٥- تدعيم الشعور الإيجابي لدى أبناء الأمة العربية نحو لغتهم وتنمية اعتزازهم بها من حيث هي رمزا لهويتهم وجزاءاه من ذاتيتهم.

وفيما يلي عرض مبسط للمحاور الأربعة لاستراتيجية التمكين للغة العربية باعتبارها رمزاً للهوية

المحور الأول: العربية والتعليم ويشمل على ما يلي:

البدء باللغة العربية في تعليم الأطفال وتأجيل تعليم اللغات الأجنبية إلى نهاية المرحلة الابتدائية أسوة بما تفعله البلاد الأوربية، المحافظة على استمرار تدريس اللغة العربية في كل مراحل التعليم الأساسي والثانوي والجامعي، مع مراعاة المقاييس العالمية في نسبة عدد الساعات المخصصة للغات الأجنبية في الدول المختلفة، التركيز في تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية على تكوين المهارات الأساسية اللغة وهي الاستماع والحديث والقراءة والكتابة، مع الاستعانة بالوسائل والتقنيات الحديثة في ذلك، وتشجيع المواهب الفردية ،واستخدام علامات الضبط (التشكيل) في الكتب المدرسية في مختلف المراحل قبل التعليم الجامعي ، وتشجيع الحكومات العربية للهيئات العلمية الرسمية والأهلية على مواصلة العمل في مجال تعريب التعليم الجامعي ورصد الجوائز لذلك، مع الأخذ في الاعتبار الذخيرة العلمية المتاحة حاليا من المواد العلمية العربية والمعربة التي يمكن البناء عليها، واجتياز طلاب الدراسات العليا في جميع التخصصات لاختبار كفاءة في اللغة العربية مود آلي (يؤدي بالكامل إلكترونيًا)، بوصفه شرطًا للتسجيل.

واجتياز دورة في العربية الفصحى بوصفها شرطًا للتعليم ولترقية الكوادر الحالية من درجة علمية إلى درجة علمية أعلى للسادة أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة في الجامعات العربية، وكذلك للسادة معلمي المواد التقنية والإنسانية في التعليم العام و التنسيق مع المؤسسات التي تعنى بتدريس اللغة العربية خارج العالم العربي، مثل المؤسسات الإندونيسية والصينية والنيجرية، وتحسين جهودها في أساليب تعليم العربية لغير الناطقين بها بالاستفادة من معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ إذ هو أقدم المؤسسات العاملة في هذا المجال وله تجربة طويلة ممتدة ومتطور

المحور الثاني: العربية والاعلام ويشمل على بعض الجوانب الآتية:

توصية هيئات تحرير الصحف العربية بقصر نشر المقالات الصحفية على ما يكتب منها بلغة عربية فصيحة في طبعاتها الورقية والإلكترونية، وعدم نشر المقالات المكتوبة باللهجات والالتزام بالعربية

الفصيحة في جميع البرامج التليفزيونية واعمال الدراما والبرامج الحوارية و انشاء قنوات للأطفال بالعربية الفصيحة وإصلاح لغة الإعلانات والعمل على تنشيط الخبرة اللغوية للعاملين في المجال الإعلامي وتحديثها من خلال اجتياز دورات في اللغة العربية؛ تطبيقا لسياسة التعليم المستمر.

و إنشاء جائزة سنوية في جامعة الدول العربية لأفضل خمسة أعمال فنية مؤداه باللغة العربية الفصيحة مستندة إلى أعمال أدبية مرتبطة بالهوية العربية وقيمها لأفضل خمسة مو اقع غير حكومية على الشبكة تلتزم بتمكين العربية في منشوراتها أو ترجماتها للمقاطع المرئية وتشجيع الإعلاميين والفنانين الذين يحرصون على توظيف العربية الفصيحة في إيصال رسالتهم الفنية من خلال رصد الجو ائزومن خلال التكريم الأدبي لهم.

المحور الثالث: العربية والتواصل ويشمل على بعض الجو انب الآتية:

الحرص على أن تكون جميع المكاتبات في المؤسسات الحكومية والخاصة (الوزارات - البنوك – شركات الكهرباء - الجامعات. إلخ) باللغة العربية الفصيحة إرسالا واستقبالًا، والحرص على التزام ممثلي الدول العربية على المستوى الرسمي بالحديث بالعربية الفصيحة بجميع المحافل المحلية والدولية(الأمم المتحدة) والإقليمية ، وتعريب عناوين المو اقع والبريد الالكتروني في كل الدو ائر الحكومية حصر استخدام اللهجات العامية في أطر التواصل اليومي الشفاهي، والتصدي لمظاهر تحويل العامية إلى لغة مكتوبة و تفعيل القو انين الخاصة بكتابة أسماء الشوارع ولافتات المحال التجارية والأماكن العامة باللغة العربية الفصيحة الدقيقة رصد جائزة سنوية لأفضل مدينة عربية في مجال تعريب المؤسسات ووسائل التواصل ومظاهر الحياة العامة.

المحور الر ابع: الحرف العربي ويشمل على بعض الجو انب الآتية:

تنظيم حملات توعية يقوم بها المتخصصون والمثقفون للتحذير من المخاطر التي يتعرض لها الحرف العربي وتهدد وجوده، والمتمثلة في المزج بينه وبين الحروف اللاتينية في شفرات كتابية مبتدعة.

والحرص على عدم كتابة اللهجات العامية مطلقا مع المحافظة على العلاقة بين الرمز الصوتي والرمز الكتابي، وتأكيد مفهوم سمو الحرف العربي نطقا وكتابة، وعلاقته بترسيخ الهوية، ونشر نتائج البحوث العلمية المتخصصة عن الحرف العربي بألفبائيته وأرقامه العربية الأصيلة ورموزه الرياضية والعلمية التي تؤكد سمو مكونات الحرف العربي وسمو بنيان اللغة العربية ذاتها. وتعميم استعمال الأرقام العربية الأصيلة في كافة الأعمال العربية المكتوبة ورقا وإلكترونيا، حيث إنها المستخدمة في جل تر اثنا العلمي والأدبي منذ اختراع منظومة شكل الرقم العربي الأصيل: (٠، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧،٨، ٩)

والتأكيد على أهمية الضبط الحرف بالشكل بوصفه جزءا أساسيا من الكتابة العربية يساعد على النطق الصحيح والفهم الصحيح، خصوصا في الكتب المدرسية، وفي المواضع المشكلة، في ظل وجود البرامج الإلكترونية التي تعين على تحقيق هذا الهدف.

وزيادة المحتوى العلمي والثقافي بالحرف العربي باللغة العربية على شبكة المعلومات العالمية، والاستفادة من الجهود التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في إثراء المحتوى العربي على الشابكة، والاستفادة من تعريب عناوين المو اقع الإلكترونية وعناوين البريد الإلكتروني مع مراعاة ما صدر من توصيف قياسي لأشكال الحروف والعلامات والأرقام العربية.

ثالثاً: أبرز المقترحات لتمكين اللغة العربية: -

والخلاصة تتمثل في أن التمكين للغة العربية هو تمكين لهويتنا الوطنية، والحفاظ عليها هو الضامن للحفاظ على ثقافتنا وتر اثنا، من هنا وجب النظر إلى آليات التمكين و ابتكار الآليات التي تتناسب ولغة العصر، لتصبح العربية لغة العصر، وفي هذا الصدد نشير عدة نقاط غاية في الأهمية هي:

- أن بداية التمكين للغة العربية يأتي من داخل كل فرد، و إيمانه بقيمة لغته، وإدراكه لأهمية الحفاظ عليها، وأن تسود بين لغات العالم، وعندما يتأصل ذلك في نفوسنا سوف ينعكس بالتبعية على الو اقع من حولنا.

- إن أولى خطوات غرس القيم الوطنية في نفوس أبنائنا وتوعيتهم بقيمة ثقافتهم وتراثهم لن يكون بمعزل عن اعتزازهم بالوعاء الذي ينقل تلك الثقافة وهي العربية.

- إن الاعتزاز باللغة هو بداية الطريق لتربية أبنائنا على المعاني والقيم الوطنية، لأنها مكون أساسي من مكونات الهوية الوطنية.

- أن من يهمل لغته لا يدرك معنى وقيمة كلمة "وطن" ودلالتها، واستحقاقاتها من الولاء له، والزود عنه، والتضحية بكل غال من أجل عزه ورفعته.

- إن التمكين للغة العربية يكون عندما تحضر اللغة العربية بقوة في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

- إن التمكين للغة العربية يكون عندما يحرص أبناؤها على إثرائها عبر الإبداع الفكري، والإنتاج العلمي، والبحث والدراسة.

- ويكون التمكين للغة العربية عندما تجعل وسائل الإعلام من نفسها حاضنة لها.

- لابد من تضافر جهود كافة المؤسسات الأهلية والمجتمعية بداية من الأسرة.

- ثم يأتي دور المدرسة من خلال التوقف طويلاً أمام معايير اختيار معلمي اللغة العربية، لأنهم البوابة التي يلج من خلالها الطالب إلى معرفة لغته، وهم أحد أهم أسباب إقباله وحبه لها وشغفه بها أو إدباره عنها، وبخاصة في سنواته الأولى من التعليم.

- أن دور المدرسة يتعاظم من خلال إصدار مجلات مبسطة، يعبر فيها مختلف التلاميذ عن مواهبهم من شعر ونثر، وتكوين مجموعات للخطابة والصحافة المدرسية.

رابعًا: اللغة العربية بين الكبوة والنهوض: -

إنَّ الاهتمام بقضية اللغة ليس ترفاً فكريًّا يجلبه الفراغ من المشاغل، ونحن أمة مازالت تعاني من كثير من الجراح، وتسعى جاهدة للحاق بركب الأمم المتقدمة. إن قضية اللغة جزء حيوي وأصيل في علاج ما تعانيه الأمة وفي سعيها للتقدم والرقي، إذا ما فهمنا التقدم والرقي على أنه موقع يتمتع بخصائص مميزة تثري الحضارة الإنسانية وتشارك في تطورها، لا مجرد استهلاك وتبعية لما يقدمه الآخرون.

والسعي إلى النهوض بالعربية يتضمن بالضرورة اعترافًا بحالة الكبوة والتعثر التي يعبر عنها كثيرًا بالأزمة، وإذا كان أول العلاج تعيينَ مكامن الداء فمن الممكن تحديد أسباب تلك الأزمة في الأمور الستة الآتية تبعً ا للدكتور فتحي جمعة في كتابه اللغة الباسلة: -

١. الفصحى والعامية، والإشكال هنا من جهتين:

- ازدواجية اللغة وما يستتبعه من صعوبة إتقان الفصحى نظرا لأنها في الغالب تكون لغة كتابة لا لغة حديث، مع أن الأصل في اللغة الشفاهية.
- تغول العامية على الفصحى وحلولها محلها في المواطن التي يفترض فيها أن يكون النفوذ للفصحى وحدها، كالمكاتبات الرسمية، والمقالات الصحفية، والأعمال الأدبية، والمحاضرات العلمية والعامة، والخطابات السياسية، ونشرات الأخبار، ونحو ذلك.

٢. العربية والتعليم، وللإشكال في هذه القضية جانبان أيضًا:

- مشكلات تعليم العربية والصعوبات التي تواجه الدارسين لها، والشكوى من قواعد النحو والصرف، وكثرتها وتداخلها، وهل نعلم اللغة من خلال النصوص، أو المهارات، أو القواعد؟
- مشكلة تعليم العلوم الرياضية والتجريبية باللغات الأجنبية، و انتشار مدارس اللغات، والمدارس الدولية، و أثر ذلك على التصور والفهم من جهة، وعلى الهوية والانتماء من جهة أخرى.

٣. العربية والعلم الحديث: هل تستطيع العربية أن تعبَّ عن المنجز الحضاري الحديث، مع أنه أنجز في بيئات لغوية مغايرة، وهل نتعامل معه عن طريق التعريب أو الترجمة، أو نلجأ لدراسة هذه العلوم بلغات أجنبية؟

٤. ضعف الأداء اللغوي، وكثرة اللحن الذي غزا ألسنة المتخصصين في اللغة العربية أنفسهم، مع أنَّ المفترض أن يتقن الطلاب مهارات الأداء بالفصحى مع انتهاء المرحلة الثانوية.

٥. تراجع العربية في المظاهر العامة أمام اللغات الأجنبية، ونعني بالمظاهر العامة أسماء الأماكن العامة من حدائق متنزهات، ومدارس، وطرق، وشركات، وأسماء العلامات التجارية أو المحال التجارية التي غزتها الحروف اللاتينية والأسماء الأعجمية، بالإضافة إلى إقحام الكلمات وأحياناً الجمل والفقرات الأعجمية في الحديث اليومي.

٦. الشعور السلبي من أبناء اللغة تجاه لغتهم، كما يظهر في صورة مدرس اللغة العربية في الأعمال السينمائية والتلفزيونية، وفي اعتقاد كثير من الناس أنَّ استعمال بعض الكلمات الأعجمية علامة على التحضر والرقي في السلم الاجتماعي، هذا إلى إهمالها والعزوف عن تعلمها و إتقانها؛ لأنها لا تعين غالبا على تحصيل وظائف مرموقة بخلاف اللغات الأجنبية.

ولا شكَّ أنَّ هناك الكثير من الدعوات والدراسات والمؤتمرات التي أقيمت حول هذه القضايا والمشكلات سعياً لإيجاد حلول لها، وقدِّمَت العديد من التوصيات في هذا الاتجاه، ويكفي أن نعرف أن لغة الطفل وحدَها في مرحلتي رياض الأطفال والابتدائية حظيت في الفترة من 1995-2007م بحوالي (١٣٦) رسالة ماجستير ودكتوراه في الجامعات المصرية فقط مع جامعة السلطان قابوس، بحسب الدراسة المسحية التي أعدها المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية التابع للمجلس العربي للطفولة والتنمية.

ولكن إذا ما شئنا أن تؤتي تلك الجهود ثمارها فلابد من تحقيق مطالب ثلاثة متضافرة تمثل الحل الحقيقي – في رؤيتنا – لأزمة اللغة العربية والسبيل الأمثل للنهوض بها:

الأول - تعميق الإرادة السياسية في أن تنهض أمتنا من كبوتها التي طالت، وتترك موقعها الأثير في العالم الثالث، وتقرر أنْ تكون من دول العالم الأول، وحينئذٍ ستتخِذُ الإرادة السياسية من الوسائل ما يعينها على تحقيق هذا الطموح.

الثاني- إنجاز نهضة علمية أصيلة لا تكتفي بنقل النتاج العلمي الغربي والشرقي واستهلاكه، بل تنزل إلى مضمار الاكتشافات والاختراعات العلمية والنظريات المنهجية، حتى تنافسَ بنتاج أصيل غيرِ مُسْتَوْرَدَ ما لدى الآخرين، وتحرصَ على التفوق عليه، حينئذٍ سيكون لنا حياةٌ ورؤى يسعى إليها غيرنا.

الثالث- نشر الوعي العام بقيمة اللغة العربية الفصحى بين أبناء الشعوب العربية، وتحويله إلى عقيدة راسخة، تملأ كيانهَا، حتى تدركَ أنَّ الحفاظ على بقائها، وتقدمها، واستقرارها، ووحدتها رهينٌ بالحفاظ على العربية واحترامها.

إننا - إن حققنا ذلك - نهيِّ للعربية تربة جديدة لا تقبل إلا البذور الصالحة للنمو والإزهار.

خامسًا: التخطيط اللغوي (اللغة العربية): -

إنَّ اللغة جزء حيوي وأصيل من هوية الأمة، ومرآة صادقة لموقعها على مدرجة الحضارة الإنسانية، ولن يزال المخلصون من أبنائها يدعون إلى نهضتها ويسعون إلى رقيها، ويرشدون غيرهَم إلى سبل هذا النهوض ومفاتح ذلك الرقي.

و إننَّا في عصر يَقْدُرُللتخطيط في كل شيء وكل مجال قدْرهَ، ومن بين أهم المجالات التي تحتاج إلى تخطيطٍ المجالُ اللغوي، ومن ثَمَّ أصبحنا نسمع ونقرأ عن التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية.

ويتضمن التخطيط اللغوي ثلاثة مفاهيم أساسية هي:

- **تخطيط الوضع وهو المتعلق باستعمال اللغة.**
- **وتخطيط المدونة وهو المتعلق باللغة المستعملة في نفسها من حيث أبنيتها وتراكيبها وثروتها المعجمية.**
- **وتخطيط الاكتساب اللغوي المتعلق بمستعمِل اللغة.**

ولعلنا نلمس شيئا من التقاعس العربي في مجال التخطيط اللغوي للعربية، على المستويين البحثي والتنفيذي، ولعل هذا التقاعسَ وليدُ الاعتقاد بحتمية الوضع اللغوي بما هو جزء من التطور الاجتماعي والتاريخي، ولكننا نؤكد أنَّ العربية - شأنها شأن بقية اللغات بل بقية الظواهر الاجتماعية - قابلة للتخطيط المفضي إلى معالجة ما تعانيه من مشكلات، ودعم جوانب القوة لديها، وتعظيم دورها في المجتمعات العربية من جهة والإسلامية من جهة ثانية، والهيئات الدولية من جهة ثالثة.

وقد كان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وما يزال جهود متواصلة في هذا المجال، ومن تلك الجهود مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي صدرت في إطاره عدة إصدارات ودراسات مهمة منها (السياسة اللغوية القومية للغة العربية) ، و(استخدام التقانات الحديثة في تطوير اللغة العربية) ، و(أسباب ومسبِّبَات تدنيّ تعليم اللغة العربية في الوطن العربي) ، و(خطة تنفيذية للارتقاء بو اقع اللغة العربية في وسائل الإعلام والإعلان العربي) ، و(الخطة العامة لتعريب التعليم) وغير ذلك. ولا ننسى أيضًا أن نشيد بالجهود الحثيثة لبعض المؤسسات العربية كمركز الملك عبد الله بن عبد

العزيز الدولي للغة العربية الذي يصُدِرُمنذ نحو عامين دورية علمية محكمة بعنوان (التخطيط والسياسة اللغوية).

ويطيب لي - هنا - أن أقبس من بيان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، الذي جاء فيه:« إنّ اللغّة العربيةّ التي برهنت عبَّ مسيرتها المديدة على قدرة فائقة على استيعابِ و اقعِها والتّعبيرِعنه والتّفاعلِ معه والمساهمة في تطويره، تجد نفسها اليوم مدعوّة، أكثر من أيّ وقت مضى، إلى مواصلة النهّوض بهذا الدّورالحضاريّ الحيويّ، وذلك عبَّ مواكبة التّطوّرات التقنية الهائلة التي يعرفها القرن الحادي والعشرون، وما ير افق هذه التّطوّرات من تحوّلات جذريّة تطول كافّة الميادين.

وإنّ نجاح اللغّة العربيةّ في رفع هذا التّحدّي يتطلّب مقاربةً شاملة تتكامل فيها السّياسات العامّة والتشّريعات، مع المجهودات القطاعيةّ في مجالات التّربية والتّعليم، والبحث العلميّ، والثّقافة، والإعلام، والإدارة، كما يتطلّب مجهودات جبآّرة في مجالات التّعريب، والمعجميةّ، وعلوم اللغّة، واللّسانيآّت، والحوسبة والبحث العلمي وغيرها.

إن المنظمة العربيةّ للتربية والثقافة والعلوم تدعو إلى تضافركافةّ الجهود من أجل بناء مشروع عربيّ موحّد لدعم اللغّة العربيةّ وتسخيرِكافةّ وسائل العصروأدواته من أجل المحافظة عليها وخدمتها وتطويرها».

سادساً: خاتمة: -

أخذًا في الاعتبار أنَّ أغلب الخطط التي اهتمت برفع مكانة لغتنا العربية للمستوى اللائق بها كانت في مجملها موجهة للمؤسسات - وضعنا نصب أعيننا في الاستراتيجية الحالية أن يتمكن أي فرد من أن يجد فيها ما يمكنه فعله إضافة إلى أنها خطة عملية بأسس علمية تهدف للتمكين للغة تقنياً ومعرفياً من خلال استخدامها في مختلف المجالات والأصعدة فلا تمكين إلا مع الاستخدام.

وقد استندت الاستراتيجية - بالإضافة للاستخدام الشامل للغة العربية - على تذكية مواطن العزة في التراث وصحيح اللغة، والعناية بتقديم النموذج والقدوة على مستوى الأفراد والمؤسسات، وعلى تواجد الحرف العربي في المجتمع بوصفه أداة للنهوض باللغة العربية وبالمجتمع العربي ذاته فما من دولة لها حظ من التنمية حالياً وفي بدايات نهضتها إلا كانت لغتها القومية هي الحاضنة لمختلف أعمالها. ويمكننا ملاحظة العلاقة الطردية بين عدد البَّاءات وعدد الكتب المؤلفة والمترجمة ومستوى التعليم وحركة البحث العلمي وجودة المنتجات ودرجة تقدم الدولة، وبين استخدامها للغتها القومية، ويبدو ذلك جلياً من منشورات منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة الو ايبو، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ومن البحوث الرصينة للباحثين العرب والأجانب.

إن النهوض باللغة العربية وبالثقافة التي ارتبطت بها في فترات العزة لهو المفتاح الرئيسي لتنمية حقيقية تشمل مختلف ربوع أمتنا، ففي الاهتمام باللغة اهتمام ببنيان المجتمع وبتنميته علميًا و اقتصاديا وثقافياً.

* * *